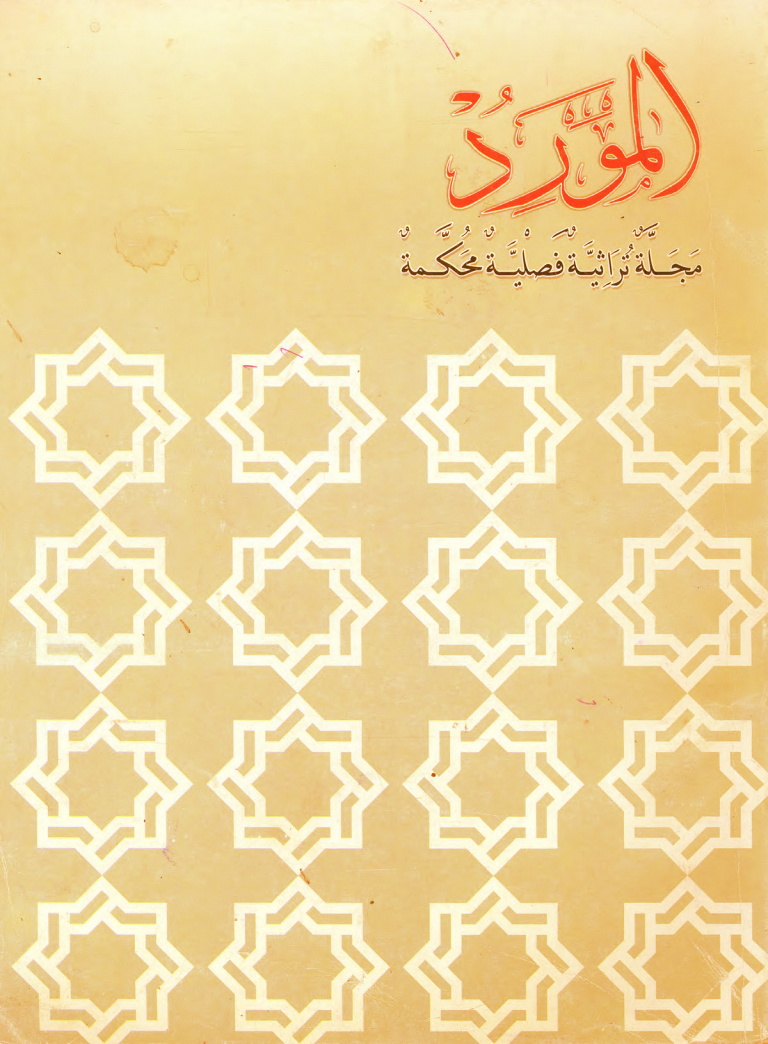
المورد
مجلة تراثية فصلية محكمة

دراسة تحليلية للعناصر المعمارية والزخرفية والكتابية
لمحراب المصلى في الجامع النوري بمدينة الموصل

بقلم

نجاة الحاج يونس التونجي

ماجستير في الآثار الاسلامية ـ بغداد

محراب[1] المصلى :

يقع هذا المحراب اليوم في مصلى جامع النوري[2] بمدينة الموصل في منتصف جدار القبلة وهو يواجه الداخل من الباب الوسطي (الباب الرئيسي) ويعرف بمحراب الشافعية لأنه كان مبنيا في الجانب المخصص لمصلى مذهب الشافعية في بيت الصلاة ، وهذا المحراب مؤرخ ويرجع تاريخه لسنة ٥٤٣ هـ وقد حفر عليه اسم صانعه وهذا التاريخ لا يناسب بناء الجامع لانه ابتدأ في بنائه سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م وكمل سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م .

نلاحظ ان اتجاه القبلة في هذا الجامع منحرف نحو الجنوب الغربي بمقدار ١٠° بينما اتجاه القبلة الحقيقي في مدينة الموصل ٩° غربي الجنوب (شكل ١) .

الشكل الحالي للمحراب :

بني المحراب من عدة قطع من الرخام الازرق وقد وضع الجص كمادة لاصقة بينها ، والمحراب الان مطلي باللونين الذهبي والفضي . ولم يكن قديما مثل ما هو عليه في الوقت الحاضر ، فمن مقارنته بالصورتين (١ ، ٤) ظهر لنا ان بعض الاجزاء أصلية وبعضها مضافة ثم انتزعت منه فيما بعد .

ولدراسة هذا المحراب في هاتين الصورتين (الاولى اخذت قبل ترميمه الاخير ، والاخرى على ما عليه الآن) نلاحظ ان شكل تجويف المحراب عبارة عن شبه مستطيل (شكل ٢) وعمقه الكلي ٥٢ سم (شكل ٣) وشكل واجهاته عبارة عن ثلاثة مستطيلات متتابعة ، المستطيل الخارجي ارتفاعه ٢٠ و ٤ م وعرضه ٤٠ و ٢ م ، وارتفاع المستطيل الوسطي ٣ م وعرضه ٦٦ و ١ م ، وارتفاع المستطيل الداخلي ٢ م وعرضه ٨٧ سم . (شكل ٤) .

وقد احتوى المستطيل الخارجي على شريط كتابي عرضه ٣٧ سم يحف بالمحراب من ثلاث جهاته مسجل عليه بالخط الكوفي المعروف آية من القرآن

---

(١) المحراب : اخذت لفظة محراب على ما اعتقد من شبه الجزيرة العربية وقد جاءت هذه اللفظة خمس مرات في القرآن الكريم ، وفي كثير من ابيات الشعر الجاهلي .
اما اصل المحراب المجوف ، فقد ذكر بعض المستشرقين انه اشتق اما من الكنائس المسيحية او من الهياكل اليهودية او من المذابح القبطية ، وقد اشار الدكتور احمد فكري الى ان حاجة المسلمين له دفعتهم الى ابتكار المحراب المجوف ، وان فائدته انما هي لدخول الامام فيه اثناء اقامة الصلاة ليترك المجال لصف كامل لمصلي الصلاة داخل المصلى عوضا عن صلاتهم في الفناء ، حيث صعوبة الحر والبرد . انظر مقالة الدكتور احمد فكري : بدعة المحاريب في مجلة الكاتب المصرية المجلد الرابع العدد ١٤ ص ٣٠٦ ـ ٣٢٠ وكتابه (مسجد القيروان) ص ٥٤ .
واعتقد ان الفائدة الثانية للمحراب هي لتحديد اتجاه القبلة ، والوظيفة الثالثة لتضخيم صوت الامام اثناء تاديته الصلاة لكي يسمعه كافة المصلين .

(٢) امر بانشاء هذا الجامع السلطان نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي والسبب في انشائه انه شاهد بنفسه ما يعانيه المصلون من الازدحام والضيق اثناء اقامة الصلاة في الجامع الاموي ، ولم يكن في الموصل جامع غيره فقر على انشاء هذا الجامع .
انظر كتاب ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١١ ص ١٤٧ ، وابن الاثير : الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٥٤ ، وابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٩ ، والعمري : منية الادباء ص ٢٠٤ ، وسليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج١ ص ٢١٨ .

الكريم (صورة ١) ويبدأ هذا الشريط من الجانب الايمن للمتجه نحو المحراب وهذا نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء) . وفي القسم العلوي : (فلنولينك قبلة ترضاها فول) وفي الجانب الايسر (وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)(٣) (شكل ٤) .

واسفل القسم العلوي من الشريط الكتابي شريط كتابي آخر عرضه ٥٤ سم ، عليه الآية التالية (كلما دخل عليها زكريا المحراب)(٤) . اما المستطيل الاوسط ففي داخله عقد زخرفي مدبب مسطح ارتفاعه ٥٧سم وسعة فتحته ٨٨سم وقد حفرت عليه زخارف نباتية بارزة عن سطح المحراب بنسب متفاوتة بين ٣ـ٦سم والزخارف المحفورة عليه هي فروع نباتية ووريقات صغيرة ، ويحيط بالعقد من ثلاث جهاته اطار زخرفي ارتفاعه ٨٨سم وقد حفرت عليه زخارف نباتية تشبه زخارف العقد ولكنها اقل بروزا منها حيث يتراوح البروز بين السنتيمتر الواحد الى الثلاثة سنتيمترات (صورة ٢) ويستقر العقد على عمودين مضلعين ارتفاع كل منهما ١٢٣سم .

اما المستطيل الداخلي : فيتمثل في تجويف المحراب وقد تألف من لوحة مستطيلة واقعة في صدر التجويف ويحيط بهذه اللوحة شريط كتابي عرضه ١٥سم مكتوب بالخط النسخي وقد سجل عليه البسملة والآية ١٨ من سورة التوبة وسنة صنعه واسم صانعه ، وهذا الشريط يحيط بعقد زخرفي مدبب ارتفاعه ٢٣ سم وسعة فتحته ٢٦ سم ويرتكز على اعمدة مستديرة ارتفاعها ١٤٠سم وتيجانها وقواعدها ناقوسية ولكن الاخيرة وضعها معكوس . ويحيط بالعقد اطار حفر عليه وعلى العقد زخارف نباتية تشبه زخارف العقد الخارجي والاطار المحيط به ، ولكن زخارف العقد والاطار الداخلي متفرقة اكثر من الخارجي وتمتد هذه الزخرفة بين العمودين الى اسفل اللوحة .

وعلى جانبي التجويف لوحتان مستطيلتان عرض كل واحدة منهما ٣٤سم وارتفاعها ٢٠سم ويتوسط اللوحتين شريط زخرفي عرضه ١٩ سم حفرت عليه زخارف هندسية تمثل اشكالا نجمية (صورة ٣) .

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٤ .
(٤) سورة آل عمران الآية ٣٧ .

المحراب قبل ترميمه الاخير :

المحراب في الوقت الحاضر يختلف كثيرا عما كان قبل الصيانة ، فنلاحظ عوضا عن الشريط الكتابي الذي يحيط بالمحراب من ثلاث جهاته ، أنه كان يتألف من عدة لوحات رخامية تختلف كل واحدة بزخارفها عن الاخريات وهذه اللوحات غير منسجمة مع بعضها ، ففي الجانب الايمن للمتجه نحو المحراب نلاحظ اللوحة السفلى (المرقمة ١) من (الشكل ٥) و (الصورة ٤) قد سجلت عليها البسملة بالخط الكوفي المورق ويعلوها عدة قطع من الرخام غير متناسقة مع (اللوحة ١) ويعلو هذه اللوحة مباشرة (لوحة ٢) وقد حفرت عليها زخارف نباتية بشكل وريقات صغيرة وفروع نباتية متصلة مع بعضها وفوق هذه اللوحة قطعة رخامية اخرى عليها شريطان من الكتابة يبدأ الشريط الخارجي من اللوحة (رقم ٣) من الاعلى الى الاسفل(٥) والشريط الداخلي (رقم ٤) يتجه بعكس الشريط السابق ، وهذه القطع غير كاملة ومن اجزاء مختلفة ومتفرقة من آيات قرآنية(٦) .

اما القسم العلوي من الاطار فقد تألف من عدة لوحات ، ثلاث منها مزخرفة (رقم ٦ ، ٧ ، ٨) والباقية خالية من الزخرفة ، فاللوحة المرقمة (٦) احتوت على مربع حلي بزخارف نباتية ، اما اللوحة الوسطية المرقمة (٧) فقد حفر عليها اطار مستطيل حفر في داخله زخارف نباتية ، وهذا الاطار يحيط بعمود حلزوني يعلوه تاج ناقوسي وقد حفر عليه ورقة واحدة وفروع نباتية . اما اللوحة (المرقمة ٨) فقد حفر عليها شكل عقد زخرفي مدبب حفر في داخله اشكال مقرنصات ، ويستقر هذا العقد الزخرفي على عمودين زخرفيين والمسافة بينهما ملئت بفروع نباتية ، واما باقي اللوحات فقد زالت زخارفها .

واسفل هذه اللوحة شريط كتابي (المرقم ٦) سجل في الجهة اليمنى منه جزء من آية قرآنية(٧).

(٥) الشريط الخارجي كتب عليه جزء من آيات متفرقة هذا نصها : (الذين يعلمون) .. (الكتاب يعرفون) . ومن سورة الانعام الآية ٢٠ وهذا نصها (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم .. وان فريقا منهم) . ومن سورة البقرة الآية ١٤٦ وهذا نصها : (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .
(٦) الآية ١٤٠ من سورة البقرة وهذا نصها (وما الله بغافل عما تعملون) وتكملة الشريط (الذين افتوا لله ...) .
(٧) على الجهة اليمنى من الشريط بعض الكلمات زائلة اما تكملة الآية القرآنية الكريمة فهي (يعلمون .. وآتيناهم ... يعلمون) .

وينتهي هذا الشريط في الجهة اليسرى من المحراب بشريط اصغر حجما وقد سجل عليه جزء من آية قرآنية ولكنها بشكل معكوس(٨) .

اما الجانب الايسر من المحراب فالقسم العلوي احتوى على شريطين من الكتابة بينهما فراغ ، وقد تألف كل شريط من عدة قطع عليها بعض الاجزاء المتفرقة من الآيات القرآنية الكريمة ، فالشريط الخارجي (اللوحة ١٤) تبدا قراءته من الاسفل الى الاعلى(٩) اما الشريط الداخلي (اللوحة ١٣) فاتجاه الكتابة من الاعلى الى الاسفل بعكس الشريط السابق(١٠) (صورة ٤) . واسفل هذين الشريطين لوحة مستطيلة (المرقمة ١٥) تشبه اللوحة الزخرفية (المرقمة ٢) على الجانب الايمن ولكن الاخيرة اكبر حجما من الاولى ، واسفل هذه اللوحة لوحة اخرى مستطيلة الشكل (المرقمة ١٦) سجل عليها بالخط الكوفي المورق ما هذا نصه (ما وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .

نلاحظ ان هذه اللوحات في الاطار الخارجي قد انتزعت من مكانها واكمل الشريط الكتابي المسجل بالخط الكوفي المورق كما هو واضح في (الصورة ١) اما باقي اجزاء المحراب فلم يحدث به اي تغيير .

الاجزاء الاصلية في المحراب :

ان الاجزاء الاصلية للمحراب التي يرجع زمنها لسنة ٥٤٣ هـ وكما في (الشكل ٦) هي :-

١ - اللوحة المستطيلة الواقعة في صدر تجويف المحراب احيط بها شريط كتابي مسجل بالخط النسخي ، ويبدأ من الجانب الايمن للمتجه نحو المحراب وهذا نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة) ويمتد الشريط في القسم العلوي من اللوحة (فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين)(١١) ، ويستمر الشريط الكتابي على الجانب الايسر (عملت هذه القبلة في جمدى الاول سنة ثلث واربعين وخمس مايا صنعه د ... د البغدادي) (صورة ٥٥) .

وفي القسم العلوي من اللوحة نلاحظ عقداً زخرفيا مدببا ، يحيط به اطار حفر عليه فروع نباتية ووريقات صغيرة جدا ويستقر العقد على عمودين زخرفيين ويعلو بدن كل منهما تاج ناقوسي وقاعدة ناقوسية ولكن وضع الاخيرة معكوسة ، انظر الصورة السابقة .

٢ - العقد الخارجي والاطار المحيط به وقد وصفته قبل قليل .

الاجزاء المضافة للمحراب :

١ - تكملة الاطار الكتابي الخارجي المسجل بالخط الكوفي المورق ، وقد انتزعت القطع الرخامية غير المنسجمة من هذا المحراب (انظر صورة ٤) .

٢ - العمودان الخارجيان اللذان ارتكز عليهما العقد الخارجي وشكل كل واحد منهما مضلع له خمسة اوجه عرض كل وجه ١٠ سم وقد حفر على كل وجه وريقات صغيرة وفروع نباتية وهذه الفروع شبه بيضوية .

٣ - اللوحتان المستطيلتان الواقعتان على جانبي التجويف ، وقد حفر على كل منهما اشكال معينة متقاطعة مع اشكال نجمية وفي داخل كل منهما نقط وخطوط وهاتان اللوحتان تختلف بزخارفهما عن باقي اجزاء المحراب القديمة . (صورة ٣) .

ويتضح لنا من هذا العرض ان بعض اللوحات التي كانت تشغل الاطار الخارجي للمحراب قبل ترميمه الاخير كثيرة الشبه بزخارفها مع الاجزاء الاصلية من المحرب - اي اللوحة الواقعة في صدر التجويف والعقد الخارجي والاطار المحيط به - ويحتمل ان اللوحتين الرخاميتين الموجودتين على جانبي المحراب (اللوحتان ٢ ، ١٥ من الشكل ٥) حفرتا في عهد بناء الاجزاء القديمة من المحراب ، واعتقد انهما نقلا من الجامع الاموي كذلك أثناء نقل المحراب .

اما الاشرطة الكتابية (اللوحات ٣ و ٤

---

(٨) وينتهي هذا الشريط في الجهة اليسرى بشريط اصغرحجما والكتابة غير واضحة ماعدا (المسجد الحر ...) .

(٩) الشريط الخارجي : الكلمات غير متفرقة وغير واضحة (جلل من العلم يكبل ايدهما - اتبعوا فلك الله مع الله).

(١٠) الشريط الداخلي : المعنى غير واضح والكلمات متفرقة وهذا نصه (المن - الظالمين - الذين - لسنه - تابع - قبلتهم) واعتقد ان هذا الشريط كان من عدة قطع ثم جمعت ولكن بدون اعطاء اي معنى له .

(١١) سورة التوبة : الآية ١٨ .

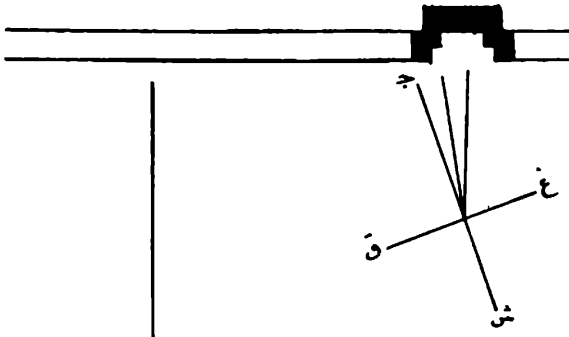

اتجاه القبلة فجامع النورى
اتجاه القبلة ٩° غربي الجنوب
درجة الانحراف ١٠° الى الغرب

شكل ١

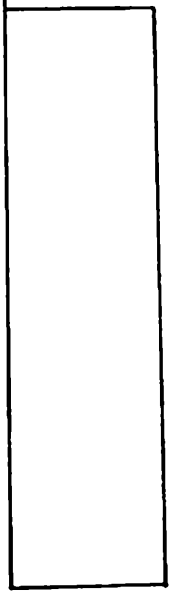

شكل ٣
مقطع راسي لمحراب
الشافعية ف
جامع النورى

شكل ٢
مخطط محراب الشافعية فجامع
النورى

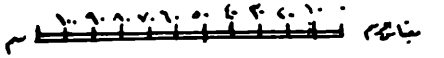

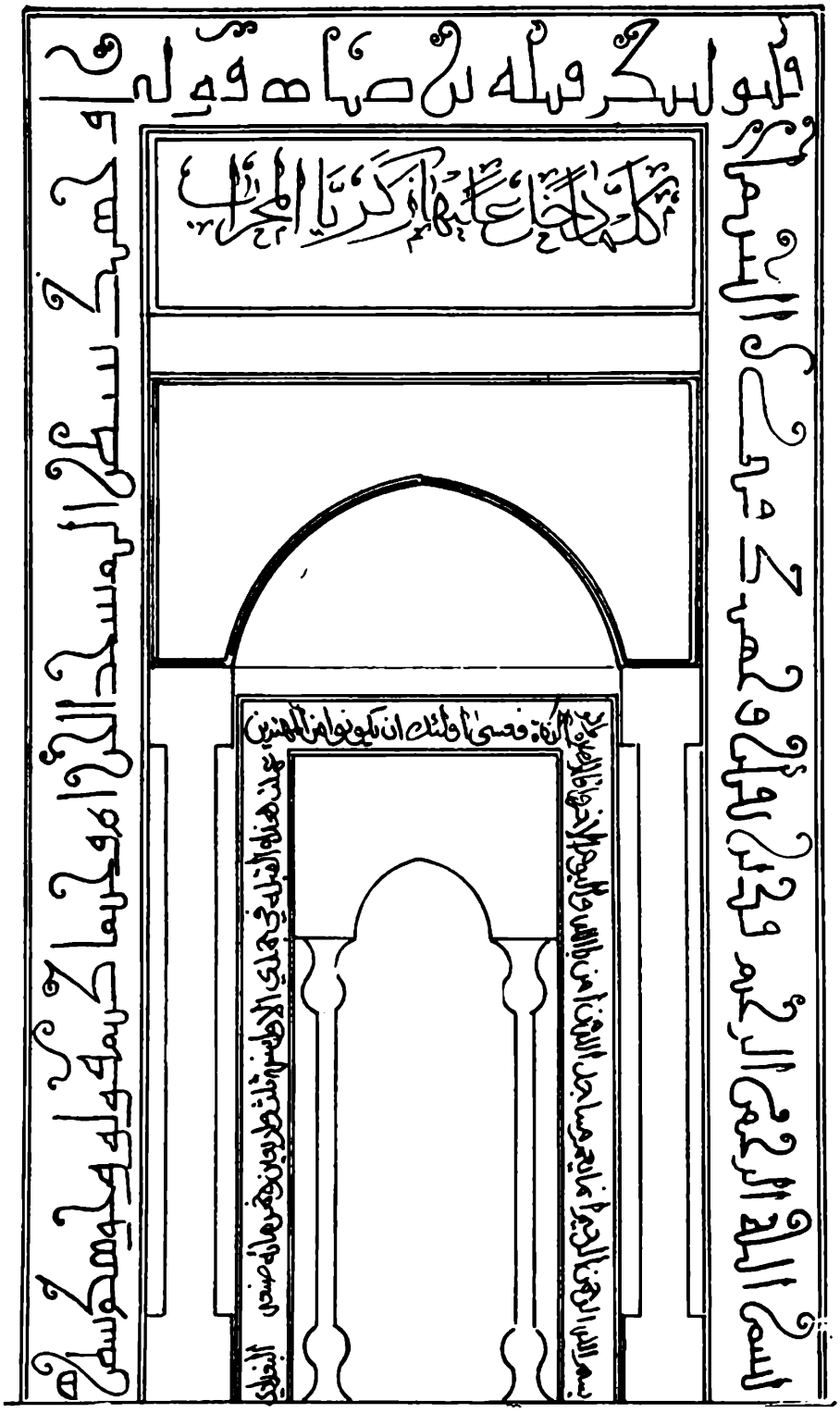

(شكل ٤)

واجهة محراب الشافعية في جامع النوري بعد الترميم

مقياس الرسم ١٠٠ ٩٠ ٨٠ ٧٠ ٦٠ ٥٠ ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠ سم

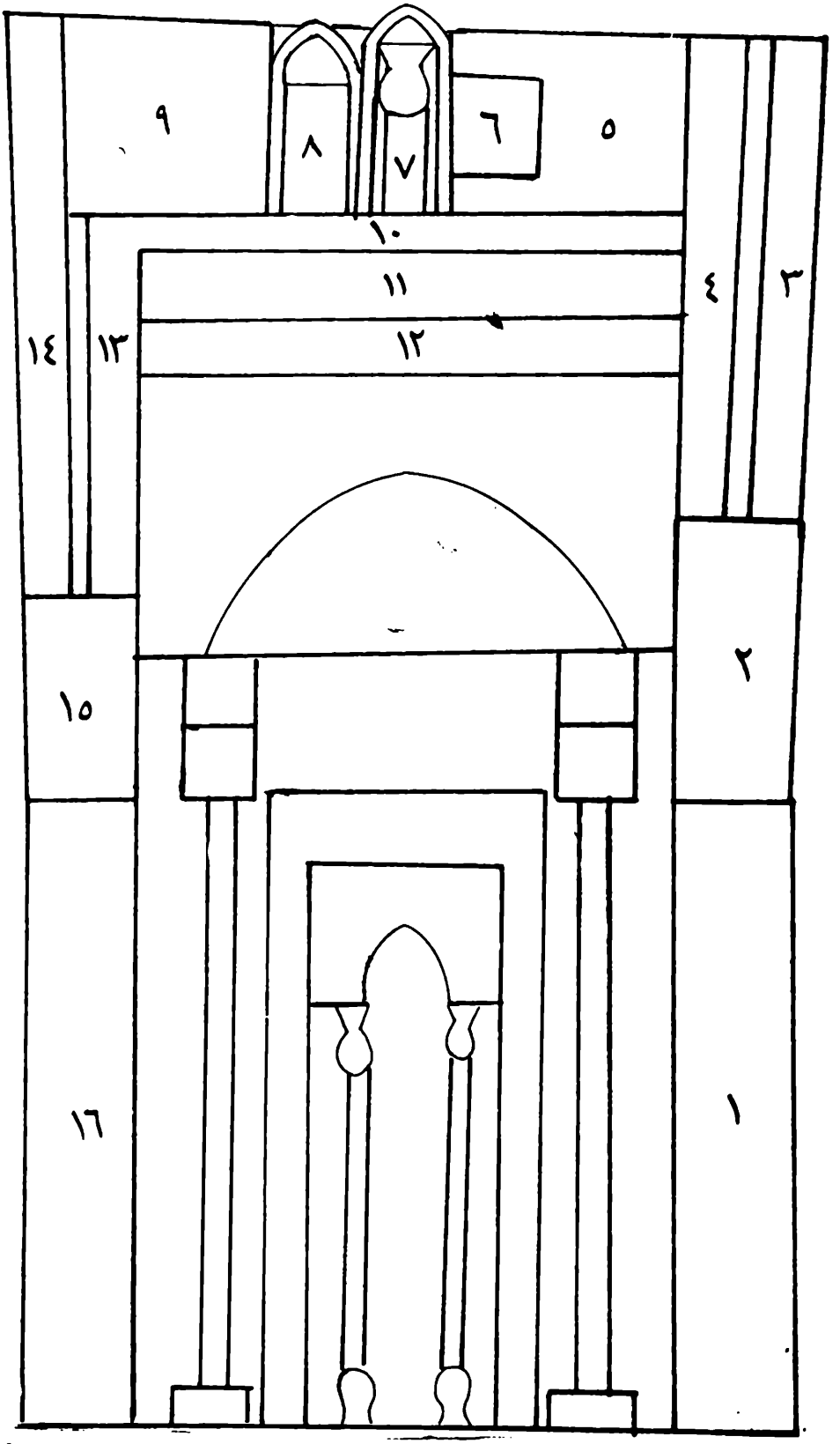

(شكل ٥)
واجهة محراب جامع النوري قبل الترميم

مقياس الرسم

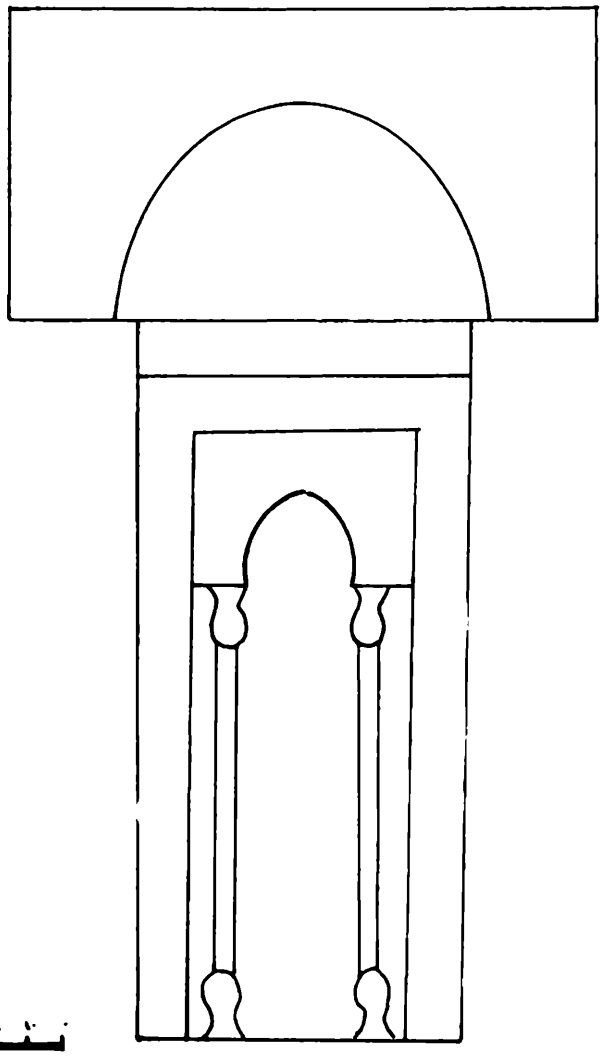

مقياس الرسم

شكل ٦

الاجزاء القديمة من محراب الشوي لجامع النوري

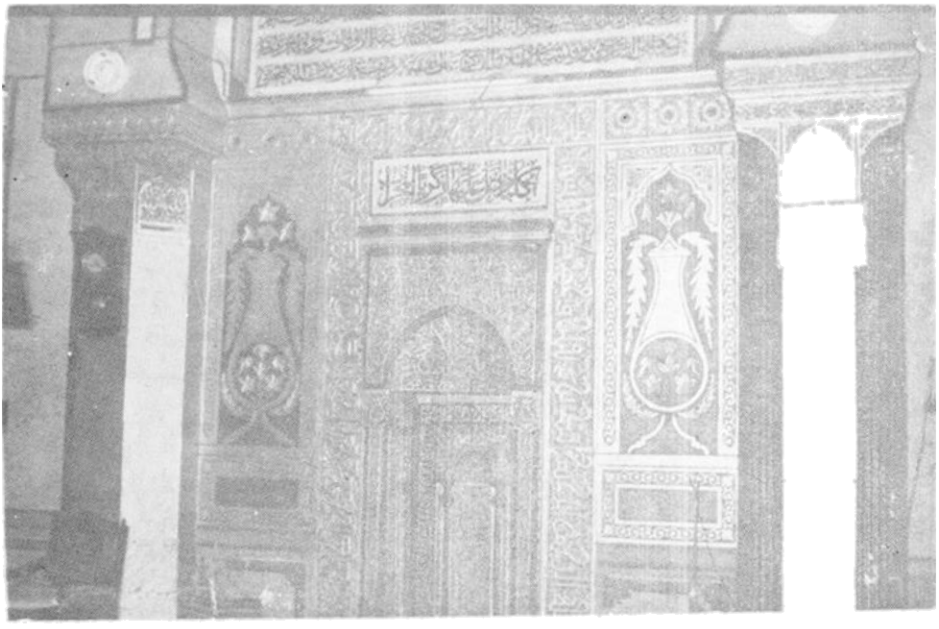

(صورة ١)
واجهة المحراب بعد الصيانة

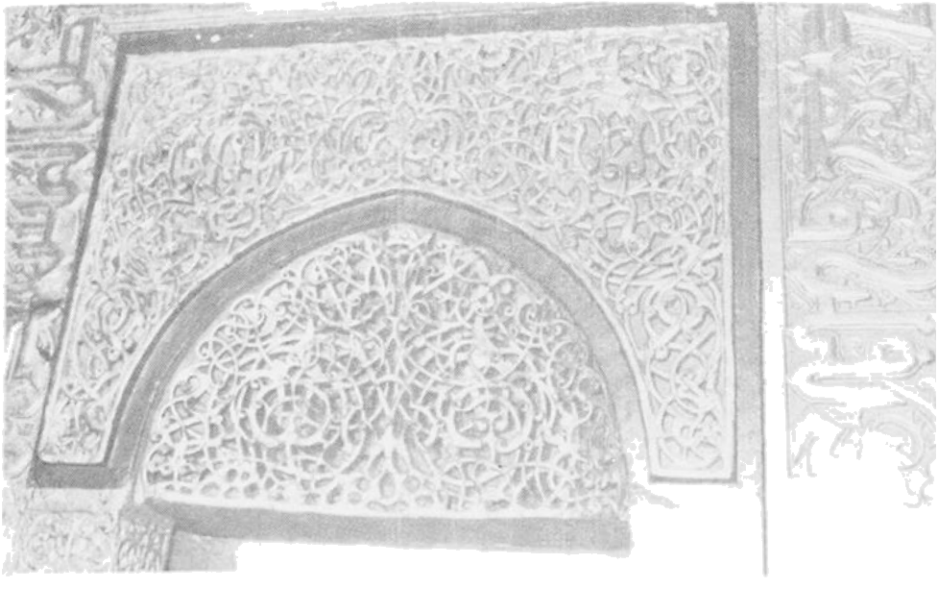

(صورة ٢)
العقد الخارجي للمحراب

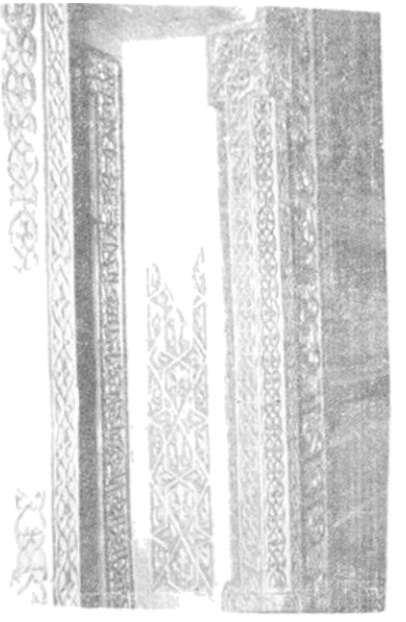

«صورة ٤»
اللوحة الجانبية في داخل تجويف المحراب

«صورة ٥»
اللوحة المستطيلة في صدر تجويف المحراب

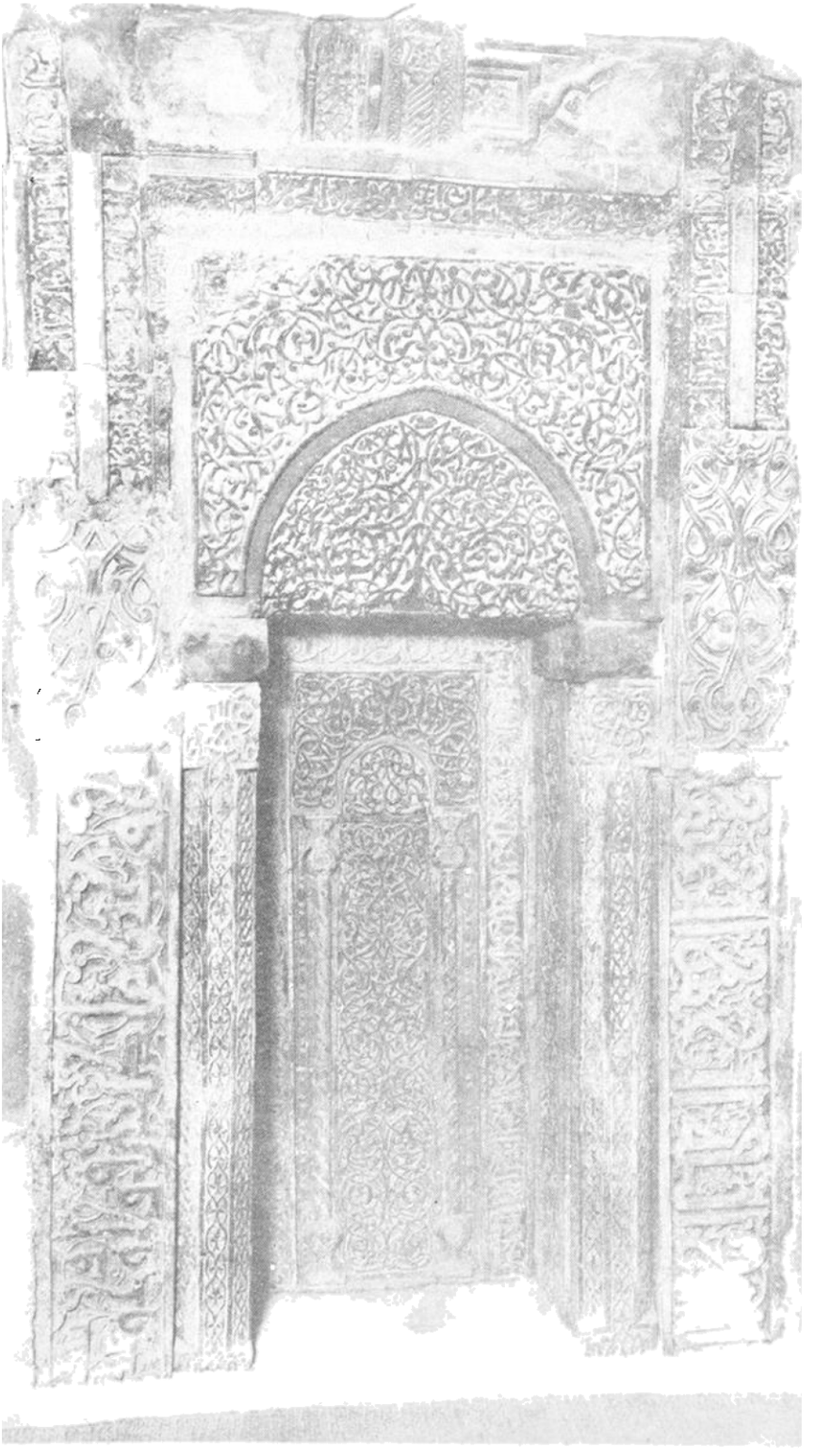

(صورة ٤)
محراب الشافعية في جامع النوري قبل ترميمه الاخير

و ١١ و ١٣ و ١٤ من الشكل ٥) والتي وضعت لتكملة الاطار الخارجي فانها غير منسجمة مع الاجزاء الاخرى من المحراب وهي عبارة عن أجزاء صغيرة حفرت عليها آيات متفرقة من القرآن الكريم وهذه الاشرطة لم تصنع خصيصا لهذا المحراب لان وضعها غريب وتختلف عن الشريط الخارجي المكتوب بالخط الكوفي المورق . .

اما اللوحات الثلاث الزخرفية الواقعة في القسم العلوي من الاطار الخارجي (المرقم بـ ٦و٧و٨ من الشكل السابق) فاعتقد انها ترجع الى عهد بناء المحراب لتشابهها في الزخرفة .

واما الشريط الكتابي الخارجي المكتوب بالخط الكوفي المشجر الذي احتوى على جزئين (الرقم ١ و ١٦ من الشكل السابق) جزء كتبت عليه البسملة ، وآخر يقع في الجانب الايسر عليه جزء من آية قرآنية هذا نصها : (.. م وحيث ما كنتم فولوا وجوه ..) ، ويلاحظ ان هذا الشريط نقل من مكان آخر ووضع فيه جزءان غير ملتئمين الان ، لان القسم الاسفل من اللوحة اليسرى مقصوص والآية غير كاملة وكلمة (وجوهكم) مشطورة وناقصة وكذلك في الجانب الايمن حرف (الباء) من كلمة (بسم) قد قطعت . اما العمودان الخارجيان الواقعان على جانبي التجويف فتختلف زخارفهما عن الاجزاء القديمة وهما غير منسجمين مع باقي أجزاء المحراب مما يدل على انهما قد جلبا من محل آخر ، والدليل على ذلك ان قاعدتي العمودين مقصوصتان وقد وضع فوق التاجين قطعتان غير مزخرفتين من الرخام لاستكمال طول العمود حتى يصل الى قاعدة عقد المحراب فهذه الاعمدة كانت معدة لرفع عقد آخر لا لرفع هذا العقد .

ونلاحظ ان الزخارف المحفورة على القاعدتين والتاجين تختلف عن بدن العمودين ، فالزخارف كثيرة الشبه مع الاجزاء القديمة من المحراب . مما يرجح انهما من عصر واحد وان العمودين احدث عهداً منهما .

ونشاهد من الشريط الكتابي المحيط بصدر تجويف المحراب ان الفنان اغفل فقرة من الآية وهي (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) ثم اصلح خطأه فيما بعد مما اضطره الى وضعها فوق عبارة (الاخر ولم يخش) .

اما اسم الصانع فقد بقي حرفان منه وهما د .. د وقد قراهما الاستاذ الديوجي سنقر(١٢) ومنهم من قراهما سيف(١٣) اما في ملف مديرية الآثار فقد سجل الاسم على انه داود(١٤) ، وانني ارجح الراي الاخير لان المسافة بين د .. د لا تستوعب اكثر من حرفين .

---

(١٢) و (١٣) الديوجي : جوامع الموصل ص ٢٣ .
(١٤) ملف مديرية الآثار رقم ٣٥/٣٢ .